

منظومة مائة المعاني والبيان لابن الشحنة الحنفي (749 هـ - 815 هـ)

المقدمة

- 1 الحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللهُ
- عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ
- 2 مُحَمَّدٍ وَإِلَيْهِ وَسَلَّمَا
- وَبَعْدُ قَدْ أَحْبَبْتُ أَيْ أَنْظَلَهَا
- 3 فِي عِلْمِي الْبَيَانِ وَالْمَعَانِي
- أَرْجُوهُ لَطِيفَةً الْمَعَانِي
- 4 أَبْيَاهَا عَنْ مِائَةٍ لَمْ تَزِدْ
- فَقُلْتُ عَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَسَدِ
- 5 فَصَاحَةُ الْمُفْرَدِ فِي سَلَامَتِهِ
- مِنْ نُفْرَةٍ فِيهِ وَمِنْ غَرَابَتِهِ
- 6 وَكَوْنِهِ مُخَالِفِ الْقِيَاسِ
- ثُمَّ الْفَصِيحِ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ
- 7 مَا كَانَ مِنْ تَنَافُرٍ سَلِيمًا
- وَلَمْ يَكُنْ تَأْلِيفُهُ سَقِيمًا
- 8 وَهُوَ مِنَ التَّعْقِيدِ أَيْضًا خَالِي
- وَإِنْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِلْحَالِ
- 9 فَهُوَ الْبَلِيغُ، وَالَّذِي يُؤَلَّفُهُ
- وَبِالْفَصِيحِ مَنْ يُعْبَرُ تَصْرِفُهُ
- 10 وَالصِّدْقُ أَنْ يُطَابِقَ الْوَاقِعَ مَا
- يَقُولُهُ، وَالْكَذِبُ أَنْ ذَا يُعَدَّمَا

الفن الأول: علم المعاني

- 11 وَعَرَبِيُّ اللَّفْظِ ذُو أَحْوَالٍ
- يَأْتِي بِهَا مُطَابِقًا لِلْحَالِ
- 12 عِرْفَانُهَا عِلْمٌ هُوَ الْمَعَانِي
- مُنْخَصِرُ الْأَبْوَابِ فِي تَمَانِ

باب: أحوال الإسناد الخبري

- 13 إِنْ قَصَدَ الْمُخْبِرُ نَفْسَ الْحُكْمِ
- فَسَمٌّ ذَا فَائِدَةٍ، وَسَمٌّ
- 14 إِنْ قَصَدَ الْإِعْلَامَ بِالْعِلْمِ بِهِ
- لَا زَمَهُمَا، وَلَمَقَامِ انْتِبَاهِ
- 15 إِنْ ابْتَدَأَتْ فَالْأَيُّوكُودُ
- أَوْ طَلَبِيًّا فَهُوَ فِيهِ يُجَمَدُ
- 16 وَوَاجِبٌ بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ
- وَيُحْسِنُ التَّبْدِيلَ بِالْأَعْيَارِ
- 17 وَالْفِعْلُ أَوْ مَعْنَاهُ إِنْ أَسْنَدَهُ
- لِمَا لَهُ فِي ظَاهِرِ ذَا عِنْدَهُ
- 18 حَقِيقَةً عَقْلِيَّةً، وَإِنْ إِلَى
- غَيْرِ مُلَابِسٍ بِحَازٍ أَوْلَا

الباب الثاني: أحوال المسند إليه

19	الْحَذْفُ لِلصَّوْنِ وَ لِلْإِنْكَارِ	وَالِإِحْتِرَازِ أَوْ لِالِاخْتِيَارِ
20	وَالذِّكْرُ لِلتَّعْظِيمِ وَالِإِهَانَةِ	وَالْبَسْطِ وَالتَّنْيِيهِ وَالتَّقْرِينَةِ
21	وَإِنْ بِإِضْمَارٍ يَكُنْ مُعْرَفًا	فَلِلْمَقَامَاتِ الثَّلَاثِ فَاعْرِفَا
22	وَالأَصْلُ فِي الخُطَابِ لِلْمُعَيَّنِ	وَالتَّرْكَ فِيهِ لِلْعُمُومِ البَيِّنِ
23	وَعَلْمِيَّةٌ فَلِالإِحْضَارِ	وَقَصْدٌ تَعْظِيمٍ أَوْ اخْتِقَارِ
24	وَصِلَةٌ لِلجَهْلِ وَالتَّعْظِيمِ	لِلشَّانِ وَالِإِيمَاءِ وَالتَّفْخِيمِ
25	وَبِإِشَارَةٍ لِذِي فَهْمٍ بَطِي	فِي القُرْبِ وَالبُعْدِ أَوْ التَّوَسُّطِ
26	وَ أَلْ لِعَهْدٍ أَوْ حَقِيقَةٍ وَقَدْ	تُفِيدُ الإِسْتِعْرَاقَ أَوْ لِمَا انْفَرَدَ
27	وَبِإِضَافَةٍ فَلِإِحْصَارِ	نَعَمٍ وَلِلذَّمِّ أَوْ اخْتِقَارِ
28	وَإِنْ مُنْكَرًا فَلِالتَّحْقِيرِ	وَالصُّدِّ وَالِإِنْفِرَادِ وَالتَّكْثِيرِ
29	وَضِدِّهِ ، وَالْوَصْفِ لِلتَّيْبِينِ	وَالْمَدْحِ وَالتَّخْصِيسِ وَالتَّعْيِينِ
30	وَكَوْنُهُ مُؤَكَّدًا فَيَحْصُلُ	لِذَمِّهِ وَهَمِّ كَوْنِهِ لَا يَشْمَلُ
31	وَالسَّهْوِ وَالتَّخَوُّزِ المُبَاحِ	تُمْ بَيَانُهُ فَلِإِیضَاحِ
32	بِاسْمٍ بِهِ يَخْتَصُّ ، وَالِإِبْدَالِ	يَزِيدُ تَقْرِيرًا لِمَا يُقَالُ
33	وَالعَطْفُ : تَفْصِيلٌ مَعَ اقْتِرَابِ	أَوْ رَدُّ سَامِعٍ إِلَى الصَّوَابِ
34	وَالفَضْلُ لِلتَّخْصِيسِ ، وَالتَّقْدِيمِ	فَلِاهْتِمَامِ بِمَحْضِلِ التَّمْسِيمِ
35	كَالأَصْلِ ، وَالتَّمْكِينِ وَالتَّعْجُلِ	وَقَدْ يُفِيدُ الإِخْتِصَاصَ إِنْ وُي
36	نَفِيًّا ، وَقَدْ عَلِيَ خِلَافِ الظَّاهِرِ	يَأْتِي كَالأَوَّلَى وَالتَّنْفَاتِ دَائِرِ

الباب الثالث : أحوال المُسندِ

37	لِمَا مَضَى التَّرْكَ مَعَ الْقَرِينَةِ	وَالذِّكْرُ أَوْ يُفِيدُنَا تَعْيِينَهُ
38	وَكَوْنُهُ فِعْلاً فَلِلتَّفِيدِ	بِالْوَقْتِ مَعَ إِفَادَةِ التَّجْدِيدِ
39	وَأَسْمَاءً فَلِإِنْعَادِمْ ذَا وَمُفْرَدًا	لَأَنَّ نَفْسَ الْحُكْمِ فِيهِ قُصْدًا
40	وَالفِعْلُ بِالمَفْعُولِ إِنْ تَقَيَّدَا	وَنَحْوِهِ فَلْيُفِيدَ زَائِدًا
41	وَتَرَكَّهُ لِمَانِعٍ مِنْهُ وَإِنْ	بِالشَّرْطِ بِاعتبارِ مَا يَجِيءُ مِنْ
42	أَدَاتِهِ، وَالجَزْمُ أَصْلٌ فِي (إِذَا)	لَا (إِنْ) وَ(لَوْ) وَلَا لِذَلِكَ مَنْعٌ ذَا
43	وَالوَصْفُ وَالتَّعْرِيفُ وَالتَّأخِيرُ	وَعَكْسُهُ يُعْرَفُ وَالتَّنْكِيرُ

الباب الرابع : أحوال متعلقات الفعل

44	تَمَّ مَعَ المَفْعُولِ حَالُ الفِـعْلِ	كحَالِهِ مَعَ فاعِلٍ مِنْ أَجْلِ
45	تَلَبُّسٌ لَا كَوْنُ ذَاكَ قَدْ جَرَى	وَإِنْ يُرَدُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ ذُكِرَا
46	التَّفْيُ مَطْلَقاً أَوْ الإِتْبَاتُ لَهُ	فَذَاكَ مِثْلُ لَازِمٍ فِي المَنْزِلَةِ
47	مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ وَإِلَّا لَزِمَا	وَالحَدْفُ لِلبَيَانِ فِيمَا أُجْمَعَا
48	أَوْ لِمَجِيءِ الذِّكْرِ أَوْ لِرَدِّ	تَوْهُمِ السَّمَاعِ غَيْرِ القُّصْدِ
49	أَوْ هُوَ لِلتَّعْمِيمِ أَوْ لِلفَاصِلَةِ	أَوْ هُوَ لِاسْتِهْجَانِكَ المُقَابِلَةِ
50	وَقَدَّمَ المَفْعُولَ أَوْ شَبَّهَهُ	رَدًّا عَلَى مَنْ لَمْ يُصَبِّ تَعْيِينَهُ
51	وَبَعْضَ مَعْمُولٍ عَلَى بَعْضٍ كَمَا	إِذَا اِهْتَمَّامٌ أَوْ لِأَصْلِ عِلْمَا

الباب الخامس : القصر

52	القُّصْرُ نَوْعَانِ: حَقِيقِيٌّ - وَذَا	نَوْعَانِ - وَالتَّانِي: إِضَائِيٌّ كَذَا
53	فَقُّصْرُ صِفَةٍ عَلَى المَوْصُوفِ	وَعَكْسُهُ مِنْ نَوْعِهِ المَعْرُوفِ
54	طُرُقُهُ النَّفْيُ وَالإِسْتِثْنَاءُ هُمَا	وَالعَطْفُ وَالتَّقْدِيمُ ثُمَّ إِتْمَا
55	دَلَالَةُ التَّقْدِيمِ بِالمَفْحُوى وَمَا	عَدَاهُ بِالوَضْعِ ، وَأَيْضاً مِثْلَمَا
56	القُّصْرُ بَيْنَ خَيْرٍ وَالمُبْتَدَا	يَكُونُ بَيْنَ فاعِلٍ وَمَا بَدَا
57	مِنْهُ فَمَعْلُومٌ وَقَدْ يُنْزَلُ	مَنْزِلَةَ المَجْهُولِ أَوْ ذَا يُبْدَلُ

الباب السادس : الإنشاء

58	يُسْتَدْعَى الْإِنْشَاءُ إِذَا كَانَ طَلَبٌ	مَا هُوَ غَيْرُ حَاصِلٍ ، وَالْمُنْتَخَبُ
59	فِيهِ التَّمَيُّنُ وَلَهُ الْمَوْضُوعُ	لَيْتَ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْوُقُوعُ
60	وَ(لَوْ) وَ(هَلَنْ) مِثْلُ (لَعَلَّ) الدَّاحِلَةُ	فِيهِ ، وَالْإِسْتِفْهَامُ وَالْمَوْضُوعُ لَهُ
61	(هَلَنْ) (هَمْزَةٌ) (مَنْ) (مَا) وَ(أَيُّ) (أَيْنَا)	(كَمْ) (كَيْفَ) (أَيَّانَ) (مَتَى) وَ(أَيُّ)
62	فَ(هَلَنْ) بِهَا يُطْلَبُ تَصَدِيقٌ وَمَا	(هَمْزًا) عَدَا تَصَوُّرٌ وَهَيُّهُمَا
63	وَقَدْ لِلْإِسْتِنْبَاءِ وَالتَّقْرِيرِ	وَعَبِيرٍ ذَا يَكُونُ وَالتَّحْقِيرِ
64	وَالْأَمْرُ وَهُوَ طَلَبُ اسْتِغْلَاءٍ	وَقَدْ لِأَنْوَاعٍ يَكُونُ جَائِي
65	وَالنَّهْيُ وَهُوَ مِثْلُهُ بِ: (لَا) بَدَا	وَالشَّرْطُ بَعْدَهَا يَجُوزُ ، وَالنَّادَا
66	وَقَدْ لِلْإِخْتِصَاصِ وَالْإِعْرَاءِ	تَحْيَاءُ ثُمَّ مَوْضِعَ الْإِنْشَاءِ
67	قَدْ يَقَعُ الْحَبْرُ لِلتَّفَاوُلِ	وَالْحِرْصِ أَوْ بَعْكُسٍ ذَا تَأْمَلِ

الباب السابع : الفصل والوصل

68	إِنْ نُزِّكْتَ ثَانِيَةً مِنْ مَاضِيَةٍ	كَتَفَسِيهَا أَوْ نُزِّكْتَ كَالْعَارِيَةِ
69	فَافْصِلْ ، وَ إِنْ تَوَسَّطَ فَالْوَصْلُ	بِجَمَاعٍ أَرْجَحُ ، ثُمَّ الْفَصْلُ
70	بِمَا لِحَالِ أَصْلِهَا قَدْ سَلِمَا	أَصْلٌ وَإِنْ مُرَّجِحٌ تَحْتَمَا

الباب الثامن : الإيجاز والإطناب

71	تَوْفِيَهُ الْمَرَادِ بِالنَّاقِصِ مِنْ	لَفْظٍ لَهُ الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ إِنْ
72	بِزَائِدِ عَنَّهُ ، وَضَرْبَا الْأَوَّلِ	قَصْرٌ وَحَدْفٌ جُمْلَةٌ أَوْ جُمْلٌ
73	أَوْ جُزْءٌ جُمْلَةٌ وَمَا يَدُلُّ	عَلَيْهِ أَنْوَاعٌ وَمِنْهَا الْعُقْمَلُ
74	وَحَاءٌ لِلتَّوَشِيحِ بِالتَّفْصِيلِ	ثَانٍ وَالْإِعْتِرَاضِ وَالتَّنْذِيلِ

الفن الثاني : علم البيان

75	عِلْمُ الْبَيَانِ مَا بِهِ يُعْرَفُ	إِيرَادُ مَا طُرُقُهُ تَخْتَلِفُ
76	فِي كَوْنِهَا وَاضِحَةٌ الدَّلَالَةُ	فَمَا بِهِ لَازِمٌ مَا وُضِعَ لَهُ
77	إِمَّا مَجَازٌ مِنْهُ الْإِسْتِعَارَةُ	تُبْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ أَوْ كِنَايَةٌ
78	وَطَرَفَا التَّشْبِيهِ حِسِّيَّانِ	- وَلَوْ خِيَالِيَا - وَعَقْلِيَّانِ
79	وَمِنْهُ بِالْوَهْمِ وَبِالْوَجْدَانِ	أَوْ فِيهِمَا يَخْتَلِفُ الْجُزْآنِ
80	وَوَجْهُهُ مَا اشْتَرَكَا فِيهِ وَحَا	ذَا فِي حَقِيقَتَيْهِمَا وَخَارِجَا
81	وَصَفَاً فَحَسِّيٌّ وَعَقْلِيٌّ، وَذَا	وَاحِدًا أَوْ فِي حُكْمِهِ أَوْ لَا كَذَا
82	وَالْكَافُ أَوْ كَانَ أَوْ كَمِثْلِ	أَدَائِهِ وَقَدْ بِذِكْرِ الْفِعْلِ
83	وَعَرَضٌ مِنْهُ عَلَى مُشَبَّهِ	يُعْوَدُ أَوْ عَلَى مُشَبَّهِ بِهِ
84	فِيَاغْتِيَارِ كُلِّ رُكْنٍ اِقْسِمِ	أَنْوَاعُهُ ، ثُمَّ الْمَجَازُ فَافْتِهِمِ
85	مُفْرَدًا أَوْ مُرَكَّبًا وَتَارَهُ	يَكُونُ مُرْسَلًا أَوْ اسْتِعَارَهُ
86	يَجْعَلُ ذَا ذَاكَ ادِّعَاءً أَوْلَهُ	وَهِيَ إِنْ اسْمٌ جِنْسٍ اسْتُعِيرَ لَهُ
87	أَصْلِيَّةٌ أَوْ لَا فَتَابِعِيَّةٌ	وَإِنْ تَكُنْ ضِدًّا تَهَكُّمِيَّةٌ
88	وَمَا بِهِ لَازِمٌ مَعْنَى وَهَوَ لَا	مُتَّبِعًا كِنَايَةً فَافْسِمِ إِلَى
89	إِرَادَةِ النَّسْبَةِ أَوْ نَفْسِ الصِّفَةِ	أَوْ غَيْرِ هَدَيْنِ اجْتِهَدُ أَنْ تَعْرِفَهُ

الفن الثالث : علم البديع

90	عِلْمُ الْبَدِيعِ وَهُوَ تَحْسِينُ الْكَلَامِ	بَعْدَ رِعَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْمَقَامِ
91	ضَرْبَانِ : لَفْظِيٌّ كَتَجْنِيسٍ وَرَدُّ	وَسَجْعٍ أَوْ قَلْبٍ وَتَشْرِيحٍ وَرَدُّ
92	وَالْمَعْنَوِيُّ وَهُوَ كَالْتَسَاهِمِ	وَالْجَمْعِ وَالتَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ
93	وَالْقَوْلُ بِالمَوْجِبِ وَالتَّجْرِيدِ	وَالْجُودِ وَالتَّطْبَاقِ وَالتَّأْكِيدِ
94	وَالْعَكْسِ وَالرُّجُوعِ وَالْإِيهَامِ	وَاللَّفِ وَالتَّنْشِيرِ وَالْإِسْتِخْدَامِ
95	وَالسَّوْقِ وَالتَّوْجِيهِ وَالتَّوْفِيْقِ	وَالْبَحْثِ وَالتَّعْلِيلِ وَالتَّعْلِيْقِ

خاتمة في السرقات الشعرية

- 96 السرقات ظاهراً فالنسخُ يُذمُّ لا إن استُطِيعَ المسخُ
- 97 والسَّلْحُ مثلهُ ، وَعَيْرُ ظاهِرٍ كَوْضِعِ مَعْنَى فِي مَكَانِ آخَرَ
- 98 أَوْ يَتَشَابَهُانِ أَوْ ذَا أَشْمَلُ وَمِنْهُ قَلْبٌ ، وَاقْتِبَاسٌ يُنْقَلُ
- 99 وَمِنْهُ تَضْمِينٌ وَتَلْمِيحٌ وَحَلٌّ وَمِنْهُ عَقْدٌ وَالتَّأْنُقُ إِنْ تَسَلَّ
- 100 بَرَاعَةٌ اسْتِهْلَالٌ انْتِقَالٌ حُسْنُ الحِتَامِ وَانْتَهَى المَقَالُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد:

فهذا شرح لمثن: "مائة المعاني والبيان" لابن الشحنة الحنفي -رحمه الله-، وضعته للمبتدئين في هذا الفنّ الجليل، حاولت الابتعاد فيه عن التّطويل مكثفياً قدر الاستطاعة برأي واحد فقط في شرح النّظم؛ لأنّ هذا هو المناسب للمبتدئ، وكذا حاولت قدر الإمكان البعد عن إيراد الإشكالات على المؤلف إلا ما دعيتي الضرورة إليه، وحرصت على الأمثلة القرآنية؛ لأنّ الغاية من هذا العلم إنّما هي: "إدراك إعجاز القرآن" كما نص عليه السيوطي في شرح عقود الجمان، وتبّه عليه الشيخ عبد الرحمن الأحضري في مقدمة منظومته الجوهر المكنون عندما قال - ونعم ما قال :-

أمدّ أربابَ التُّهَى ورَسَمَا
شمسَ البَيَانِ في صدورِ العُلَمَا
فأَبْصَرُوا معجزةَ القرآنِ
واضحَةً بِسَاطِعِ البُرْهَانِ

ثم أشار إلى غاية أخرى أعظم عندما قال:

ثمَّ صلاةُ اللهِ ما ترنّما
حادٍ يسوقُ العيسَ في أرضِ الحمى
على نبيِّ اصطفاهُ الهادي
أجلّ كلّ ناطقٍ بالصّادِ

...

ما عكفَ القلبُ على القرآنِ

مرتقياً لحضرة العرفان

فهذه إشارة منه - رحمه الله - إلى أن هذا العلم يؤدي بمن رسخ فيه إلى عكوف ولزوم قلبه على القرآن بحيث يزهد فيما سواه ويرتقي - وهو في حالة العكوف هذه - في معرفة المتكلم بالقرآن - سبحانه وتعالى-، ولولا خشية الإطالة لامتد بنا في هذا المقام الكلام، و قد سميت الشرح : " التبيان لمثن مائة المعاني والبيان"، أسأل الرب الكريم برحمته التي وسعت كل شيء أن يجعله عوناً لي ولإخواني على تدبر آياته، والتلذذ بمناجاته.

وقبل الشروع في شرح المنظومة لا بد من الكلام على ثلاثة أمور متعلقة

بالمثن المشروح:

الأول: عنوان المتن.

الثاني: مؤلف المتن.

الثالث: محتويات المتن.

الرابع : قيمة المتن.

أما عنوان المتن فهو: (مائة المعاني والبيان)؛ ف(مائة) إشارة إلى عدد أبيات هذه المنظومة، و(المعاني والبيان) هما أهم علمين من علوم البلاغة الثلاثة التي سيأتي الحديث عنها بعد قليل، وهذه المنظومة عدة أسماء، لكن هذا الاسم هو الذي رجّحه الباحث : سليمان عميرات في رسالته القيمة " درر الفرائد المستحسنة في منظومة ابن الشحنة لابن عبد الحق العمري (ت نحو: 1024هـ) - دراسةً وتحقيقاً - " (1).

(1) وهي رسالة حصل بها الباحث على درجة الماجستير من جامعة دمشق قبل ستة أشهر - تقريباً - .

وأما مؤلف المتن فهو: محب الدين محمد بن محمد المعروف بابن الشحنة (749هـ-815هـ)، وهو فقيه حنفي، له اشتغال بالأدب والتاريخ، انظر ترجمته في الأعلام: (44/7)، والشحنة - كما في القاموس - هو مَنْ فِيهِ الْكِفَايَةُ لَضَبَطِ الْبَلَدِ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ، وَفِي تَاجِ الْعُرُوسِ: "وَبُنُو الشَّحْنَةِ الْحَنْفِيُّونَ، مِنْهُمْ: السَّرِيُّ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَأَصُولُهُ مَعْرُوفُونَ؛ يُقَالُ إِنَّ جَدَّهُمُ الْكَبِيرَ كَانَ شَحْنَةً بِحَلَبٍ".

وأما محتويات المتن فهو يحتوي - إذا استثنيا خطبة المنظومة - على أربعة أقسام:

- القسم الأول: مقدمة حول البلاغة والفصاحة وتمتد من البيت: 5 إلى: 10.
- القسم الثاني: علم المعاني، ويمتد من البيت: 11 إلى: 74 .
- القسم الثالث: علم البيان، ويمتد من البيت: 75 إلى: 89 .
- القسم الرابع: علم البديع، ويمتد من البيت: 90 إلى: 100.

وأما قيمة المتن فتظهر في كون الناظم رتب مسائلها على الترتيب المعروف عند متأخري البلاغيين، وأول من ابتداء هذا الترتيب الذي استقرَّ عليه معظم البلاغيين المتأخرين هو الخطيب القزويني في كتابه الشهير: "تلخيص المفتاح"؛ فإذا علمنا أن الخطيب القزويني توفي: (793 هـ) أي: قبل ولادة الناظم بعشر سنوات ترجح أن مائة المعاني والبيان نظمٌ للتلخيص⁽¹⁾، وهذه العلاقة بين النظم والتلخيص ترفع من قيمته لأن التلخيص يعتبر العمدة في دراسة البلاغة في جانبها النظري.

(1) مع وجود احتمال آخر وهو أن يكون مائة المعاني نظماً لتلخيص تلخيص المفتاح - لطيف المعاني - ، ومحل التفصيل في هذه القضية والرد على من نفى العلاقة بين "المائة" و"التلخيص" بحثٌ بدأته وأوشكتُ على الانتهاء منه - أسأل الله العون والمدد -، وسأحاول كلما سنحت فرصة أن أنبه في الهامش على التوافق بين المتنين - بإذن الله - .

ومما يدل على قيمتها - أيضاً- كثرة من شرحها ، فقد ذكر الحَبشي في جامع الشروح والحواشي ثلاثة عشر شرحاً للمنظومة، رغم أنه لم يذكر كل الشروح. ومما يزيد في قيمتها جمعها بين الشمول لأبواب الفن كلها مع اختصارها الذي يغري بحفظها وتدريسها ويسهل مراجعتها.

ولهذا كلُّه أرى أنها المتن الأنسب لدراسة المبتدئ لهذا الفن إذا أراد أن تكون دراسته متينة مؤصلة منضبطة بمصطلحات الفن وتقسيماته.

قال الناظم رحمه الله:

- | | | |
|---|---------------------------------------|---|
| 1 | الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ | عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ |
| 2 | مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ | وَبَعْدُ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَنْظِمًا |
| 3 | فِي عِلْمِي الْبَيَانِ وَالْمَعَانِي | أُرْجُوزَةً لَطِيفَةً الْمَعَانِي |
| 4 | أَبْيَاتُهَا عَنْ مِائَةٍ لَمْ تَزِدْ | فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَسَدِ |

هذه خطبة المنظومة وقد اشتملت على:

- 1 - الحمدلة. 2- الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
- ومحل التوسع في الكلام عليهما كتب الشروح والحواشي فلينظرها من شاء.
- 3 - غرض الناظم من منظومته؛ حيث بيَّن أنَّه أحبُّ أن ينظم - بتشديد الظاء للوزن - علمي البيان والمعاني ، والناظر في المنظومة يرى أن المؤلف نظم العلوم الثلاثة - المعاني والبيان والبديع-، لكنه لم يذكر البديع لأنه تنمَّة وذيل عند كثير من البلاغيين، وقد أورد أحد الطلاب الناهجين احتمالاً لطيفاً حيث قال: لماذا لا يعد الجناس بين (المعاني) في الشطر الأول و(المعاني) في الشطر الثاني مقصوداً من الناظم كي يشير إلى علم البديع بالمثل؟

فيكون قد صرَّح باسم العلمين الأساسيين - المعاني والبيان - وألمح بالمثل إلى الثالث - البديع-؛ ولعلَّ هذا يبين لنا سرَّ تقديمه لعلم البيان على المعاني في البيت، والله أعلم.

4 - الإشارة إلى أن منظومته من بحر الرجز ، وهذا ترغيب منه فيها لأن الرجز من أسهل البحور في الحفظ .

5- مدحها بلطافة معانيها، وهذا ترغيب ثان فيها.

6- النص على أن منظومته مائة بيت فقط ، وهذا ترغيب ثالث فيها.

ولما كانت هذه المرعَّبَات والمزايا التي أشار إليها الناظم - وخاصة كون منظومته لا تتجاوز مائة بيت - نعماً عظيمة ؛ وكان : " كل ذي نعمة محسود" قال معبراً عن خوفه على نفسه من الحسد : (فقلت غير آمن من حسد)، نعوذ بالله من شرِّ حاسد إذا حسد .

وبعد أن انتهى الناظم من خطبته ، أتبعها بما يُعد مقمّمة لعلم البلاغة⁽¹⁾، ومقدمة العلم: تطلق على ما يتوقّف عليه الشروع في مسأله، بخلاف مقدمة الكتاب: حيث تطلق على طائفة من كلام المؤلف قُدِّمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه؛ فما مرَّ من خطبة الناظم مقدمة كتاب، وأما الأبيات من الخامس وحتى العاشر فهي مقدمة علم، وقد انحصر كلام الناظم في هذه المقدمة في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفصاحة وما يتعلّق بها.

المبحث الثاني: البلاغة وما يتعلّق بها.

المبحث الثالث: الإشارة إلى تعريف الصدق والكذب.

فقال رحمه الله:

(1) أول من أتى بالمقدمة بهذه الصورة - وفي هذا الموضوع تحديداً- القزويني في تلخيص المفتاح متأثراً في ذلك - في بعض الجوانب - بابن سنان الخفاجي كتابه: "سر الفصاحة".

- 5 فَصَاحَةُ الْمُفْرَدِ فِي سَلَامَتِهِ مِنْ نُفْرَةٍ فِيهِ وَمِنْ غَرَابَتِهِ
 6 وَكَوْنِهِ مُخَالِفَ الْقِيَاسِ ثُمَّ الْفَصِيحُ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ
 7 مَا كَانَ مِنْ تَنَافُرٍ سَلِيمًا وَلَمْ يَكُنْ تَأْلِيفُهُ سَقِيمًا
 8 وَهُوَ مِنَ التَّعْقِيدِ أَيْضًا وَإِنْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِلْحَالِ

هذا هو المبحث الأول حول الفصاحة وما يتعلق بها، ويندرج كلام المؤلف في هذا المبحث حول ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شروط فصاحة الكلمة.

المطلب الثاني: شروط فصاحة الكلام.

المطلب الثالث: تعريف فصاحة المتكلم.

أما المطلب الأول - وهو شروط فصاحة الكلمة - فقد عبّر عنه الناظم بقوله: (فصاحة المفرد) إلى قوله (... القياس)، فبيّن أنه يشترط لفصاحة الكلمة أن تخلو من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: التنافر بين حروفها:

والتنافر: وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها، ومثاله كلمة: (المعنع)، وهي كلمة قيل إنها تطلق على المرعى، وقيل غير ذلك.

الأمر الثاني: الغرابة في معناها:

بحيث نحتاج لمعرفة معناها إلى البحث في كتب اللغة المطولة.

ومثاله ما روى أن عيسى بن عمر النحوي سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال: "ما لكم تكأ كأتتم عليّ تكأ كؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني"، أي: ما لكم اجتمعتم؟ تنحوا.

الأمر الثالث: المخالفة للقياس الصرفي:

بمعنى أن تكون مخالفة لقواعد علماء الصرف ولما سمع عن العرب.
ومثاله قول أبي النجم: الحمد لله العلي الأجلل.
لأن القياس الصرفي يقتضي أن يقال: الأجل.

أما **المطلب الثاني - وهو شروط فصاحة الكلام -** فقد عبر عنه الناظم بقوله: (ثم الفصيح من كلام الناس) إلى قوله (.... خالي)، فبين أنه يشترط لفصاحة الكلام أن يخلو من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تنافر الكلمات:

بحيث يكون مجموع الكلام متنافرا ثقيلًا في نطقه رغم أن الكلمات المفردة التي كونت ذلك الكلام ليس فيها تنافر، ومثاله:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قَفْرُ⁽¹⁾

وليسَ قُرْبَ قَبْرٍ حربٍ قَبْرُ

فكلمات البيت إذا نظرت إلى كل منها على حدة، ستجد بأنها ليست متنافرة ، لكن باجتماعها حصل التنافر؛ فاختلفت فصاحة الكلام.

الأمر الثاني: ضعف التأليف - وعبر عنه الناظم بالسقم للقافية-:

وهو أن يكون الكلام مخالفاً للمشهور عند النحاة، ومثاله: " ضرب غلامه زيداً " حيث عاد الضمير في المثال على متأخر في اللفظ والرتبة⁽¹⁾ وهذا مخالف للمشهور عند النحاة وأجازته بعضهم.

(1) كذا بالرفع على أنه نعت مقطوع ، وهو أصح من رواية الجر ليسلم البيت من الإقواء - مستفاداً من حل العويص في شرح شواهد التلخيص -.

الأمر الثالث: التّعقيد :

بجيث لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد مع وضوح كلماته؛ فمن ذلك أن يستخدم المتكلم مجازاً أو كناية غير مألوفة في الاستعمال⁽²⁾؛ كمن يصف امرأة جميلة فيقول : " رأيت عفريتة"⁽³⁾.

أما المطلب الثالث -وهو فصاحة المتكلم- فقد أحرّ المؤلف الكلام عنه إلى ما بعد الكلام على بلاغة المتكلم, وسأتابعه في هذا التأخير.

ثم قال الناظم رحمه الله:

8 وَإِنْ يَكُنْ مُطَابِقاً لِلْحَالِ
9 فَهَوَ الْبَلِيغُ، وَالَّذِي يُؤَلَّفُهُ

هذا هو المبحث الثاني من مباحث المقدمة وهو حول البلاغة وما يتعلّق بها, ويندرج كلام الناظم في هذا المبحث حول مطلبين:
المطالب الأول: تعريف بلاغة الكلام.
المطلب الثاني: تعريف بلاغة المتكلم.

أما المطلب الأول -وهو تعريف بلاغة الكلام- فقد عبّر عنه الناظم بقوله:
(وإن يكن) إلى قوله (فهو البليغ), فقوله: (و إن يكن) أي: الكلام الفصيح (مطابقاً للحال) أي: مطابقاً لما يقتضيه الحال (فهو البليغ) أي: فهو الكلام

(1) زيداً متأخر في اللفظ لأنه ذكر متأخراً ، وهو متأخر في الرتبة لأنه مفعول به.

(2) ويسمى التعقيد في هذه الحالة تعقيداً معنوياً.

(3) هذا التعبير معروف عند بعض الأعاجم في وصف المرأة بالجمال، ولو قاله هذا الأعجمي لشخص عربيّ فلن يفهم مراده وبالتالي سيكون مخلاً بالفصاحة، وإنما مثلت بهذا المثال لوضوحه للمبتدئ، والله أعلم.

البليغ-، وعلى هذا فبلاغة الكلام هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وسيأتي بإذن الله مزيد بيان للمراد بالحال بعد أسطر.

أما المطلب الثاني -وهو تعريف بلاغة المتكلم- فقد عبر عنه الناظم بقوله (والذي يؤلفه) أي: والذي عنده ملكة تأليف الكلام البليغ يعد متكلماً بليغاً ؛ فلا يكفي المتكلم حتى يوصف بالبلاغة أن يكون كلامه بليغاً مرة أو مرتين أو أكثر، بل لا بد من أن تتكوّن عنده ملكة - أي صفة راسخة في نفسه - بحيث يستطيع أن يعبر عن مراده بكلام بليغ دائماً .

ثم قال رحمه الله:

9 وَبِالْفَصِيحِ مَنْ يُعَبِّرُ تَصْرِفُهُ

هذا هو المطلب الثالث من المطالب المتعلقة بالفصاحة⁽¹⁾ وهو: تعريف

فصاحة المتكلم:

وقد أخره الناظم إلى هذا الموضوع، ولم أتبين سببا لهذا التأخير، والمقصود بقوله (وبالفصيح...) إلخ أن الذي عنده ملكة التعبير باللفظ الفصيح يعدُّ متكلماً فصيحاً، ويقال فيه ما قيل في بلاغة المتكلم.

تنبيه مهم جدا:

الحال: -وشأنه مهم جدا في البلاغة- هو الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص، فمثلا: كون المخاطب يواجه خطرا مفاجئا أمر يقتضي ويستدعي أن يختصر له الكلام ويحذف كل ما يمكن حذفه فيقال له: " أسد " ويحذف

(1) فهو امتداد للمبحث الأول من المقدمة، ولعل الناظم أخره لضرورة النظم

" احذر " أو " ورائك " أو غيرها مما يمكن أن يُقَدَّر، وكون المتكلم يريد مدح ملك من الملوك لنيل جائزته ، حال وأمر يستدعي الإطالة في ذكر الصفات الحسنة لذلك الملك ، فإذا جاء الكلام موافقا لما يقتضيه المقام فهو كلام بليغ، ومن هذا يتبين أن كون الكلام فصيحاً مليئاً بالصور البيانية والمحسنات لا يكفي لوصفه بالبلاغة، بل لا بد من موافقته لمقتضى الحال.

وبهذا يتضح لنا أن: من أهمّ المهمّات لمن أراد أن يعرف بلاغة القرآن، أن يعرف الحال التي نزلت فيها الآيات من أسباب نزول، ومكي ومدني، بل كلما كان أعرف بالوقت الذي نزلت فيه السورة تحديداً كان ذلك أعون له على إدراك الأسرار البلاغية في الآيات⁽¹⁾.

فعلى سبيل المثال: إذا عرفنا أن سورة البقرة – وخصوصاً خطاب بني إسرائيل في أولها – نزلت في أول الهجرة بينما نزلت سورة الجمعة عام خيبر أو بعدها⁽²⁾ تبين لنا هذا الفرق الشاسع في الخطاب بين قوله تعالى في البقرة: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وبين قوله تعالى في الجمعة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ الجمعة: ٥

(1) من الكتب اللطيفة في هذا الشأن: " غرائب الإعجاز والنكات في مقامات أسباب النزول " للدكتور محمد إبراهيم شادي – طبعته دار اليقين بمصر- ، لكن الأصل في كتابه الاقتصار على ما يتعلق بأسباب النزول دون غيرها من ملابسات، والكتاب مفيد في بابه.

(2) انظر التنبيه على ذلك في تفسير سورة الجمعة من التحرير والتنوير، وهو يرى أنها نزلت عام خيبر تحديداً لكن ما استدلل به يدل على ما أثبتته في أصل الشرح ، والله أعلم.

وبهذا نعرف - أيضاً - أن الخطيب الذي يسمعه عامة الناس فيأتيهم بالكلمات الفخمة الجزلة التي لا يفهمونها ، والاستعارات والكنيات العربية الفصيحة التي لا يدركون مغزاها، ويأتيهم بسجع لا يدركون منه إلا أصوات الحروف هو خطيب بعيد كل البعد عن البلاغة رغم أنه فصيح.

وأخيراً أختتم بمثالين توضيحيين لمسألة مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

المثال الأول⁽¹⁾:

أنشد منشد في زفاف قصيدةً آخرها:

فليت شعري والدينا مفرقةً

بين الأنام وأيام الورى دول

هل ترجع الدار بعد البعد آنسة؟

وهل تعود لنا أيماننا الأول؟

ومن الواضح أن المنشد هنا ليس بليغا مع أنه لا خلل في البيت ولا عيب.

المثال الثاني:

قال بعضهم لبشار بن برد: إنك لتجيء بالشيء المهجين المتفاوت, قال: وما

ذاك؟ قال: بينما أنت تثير النقع وتخلع القلوب إذ تقول:

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً

(1) هذا المثال مأخوذ من كتاب تيسير البلاغة للشيخ - أحمد قلاش - رحمه الله - .

هتكنا حجاب الشمس أو تُمَطِّرِ الدِّمَا

نراك تقول:

ربابة ربة البيت

تصب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات

وديك حسن الصوت

فقال بشار: لكل وجه وموضع؛ فربابة جاريتي لها عشر دجاجات وديك،
تجمع لي البيض وأنا لا آكل البيض من السوق، وهذا القول عندها أحسن من: قفا
نبك من ذكرى حبيب!

ثم قال الناظم رحمه الله:

10 وَالصِّدْقُ أَنْ يُطَابِقَ الْوَاقِعَ يَقُولُهُ ، وَالْكَذِبُ أَنْ ذَا يُعَدَمَا

هذا هو المبحث الثالث من المباحث التي ذكرها الناظم في المقدمة وهو: تعريف الصدق والكذب، وهي مسألة تذكر في معظم كتب البلاغة، والمشهور فيها عندهم - وهو الذي مشى عليه المؤلف - أن صدق الخبر هو: أن يطابق حكم ما يقوله المخبر، والكذب: أن لا يطابق حكم ما يقوله المخبر الواقع، بغض النظر عن اعتقاد المتكلم؛ وعليه فإذا قال قائل: "سافر زيد" وهو في واقع الأمر لم يسافر فالتكلم كاذب حتى لو كان يعتقد أنه سافر، وإذا قال قائل: "سافر زيد" وكان في واقع الأمر قد سافر فالتكلم صادق حتى لو كان يعتقد أنه لم يسافر.

تنبيه:

يتكلم البلاغيون على هذه المسألة عند الكلام على أبواب علم المعاني وذلك لتعلقها بتعريف الخبر والإنشاء, ولا يذكرونها في الموضوع الذي ذكرها فيه الناظم, ولم يظهر لي شيء مُقنع في وجه ذكرها في هذا الموضوع حتى نبهني بعض الطلاب - جزاه الله خيراً- على أنها يمكن أن تعد من مقدمات العلم فذكرت فيه لذلك ، وهو رأي له وجهته فيما يبدو لي ، والله أعلم .

الفن الأول
علم المعاني